Cariane central Hay Mohammadi

كريان سنترال الحي المحمدي

ذاكرة وكرامة

Mémoire et dignité

إئتلاف ذاكرة و كرامة
المبادرة الحضرية
9 زنقة إبن البيطار درب السعد الحي المحمدي
الهاتف :0522 61 77 91
memoire.dignite@gmail.com

كريان سنترال- الحي المحمدي
ذاكرة و كرامة

تدريب عملي: مصوغات ذاكرة كريان سنترال- الحي المحمدي

نتقدم بتشكراتنا الحارة لسكان و أصدقاء كريان سنترال الحي المحمدي الذين أتاحوا لنا الولوج إلى ذاكرتهم، أقوالهم و صورهم الشخصية بغرض تدوين ذكرى نضالات الماضي و الإصرار على إبقاء الأمل في مغرب اليوم و الغد. مغرب متحرر من التعسف وسيادة قانون الغاب.

هذا الكتاب أنجز بفضل تظافر جهود مجموعة من الجمعيات تضم جمعية المبادرة الحضرية، جمعية البيضاء الذاكرة، جمعية الشعلة و الشبكة المغربية للتربية الشعبية، و بفضل دعم برنامج جبر الضرر الجماعي الذي نادت به هيئة الإنصاف و المصالحة و يشرف عليه المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان وتديره مؤسسة صندوق الإيداع و التدبير بدعم من مفوضية الاتحاد الأوروبي بالمغرب.

كريان سنترال "ذاكرة ، كرامة"

الأخصائيون الإجتماعيون الذي سهروا على تجميع مواد الكتاب :
عصام طياش، هدى حرار، إلهام مومن، يونس الجاوي، حسين لعفر، يوسف معضور

التنسيق الفني للكتاب :
عبدالإله جـنان ويـوسف حجي

المستشارون و المرافقون :
فاطنة البويه، نجيب التاقي، مصطفى أصخور، محمد سؤال، فاطمة أيت بالمدني، مريم شرتي
ميشال برالدي، ثريا حجي تمسماني، كريمة صغيري، يوسف مداد.

التنسيق الإدراي :
عبدالجليل بكار

المؤطرون :
جون حجار و يوسف حجي

صياغة النصوص والتنسيق البيداغوجي :
يوسف حجي

لـــــم يأت عنوان ذاكرة وكرامة صدفة إذ بين ماض يختفي ببطء وصبح يتعثر في الطلوع يصبح التذكر عنوانا للكرامة بعدما كان النسيان عنوانا لحفظ الكرامة . و لأن وجود الإنسان هو زمنه , أصبح لزمن الحلم بالعدالة والديمقراطية زمن النضال من أجل بث الروح العقلانية في التاريخ قيمة . لأجل ذلك يقف شباب الحي المحمدي اليوم يغريهم المدى في اقتحام ذاكرة مستعصية لا بفعل تجاعيد الزمن ولكن بفعل سكون العتمة وتكاثف أشجار الصمت المفروض ..
شباب الحي يستمعون لتجربة الأجداد يتصالحون مع ماض خاصمهم مع صباهم حيث اغتصب منه فرحة الطفولة ومع شبابهم حيث نزع عنه الحق في المغامرة... فهل تعيد إليهم الكهولة الأمل في الحق في الانتماء إلى الوطن هم الذين ذاقوا صقيع الصفيح بعد دفء القرية وغربة الهجرة بعدما أغرتهم وعودها...

يتقاسم سكان الحي المحمدي اليوم تجربتهم مع الغالبية العظمى من مواطني البلد فيرتاحون من هول ما انزل بهم. فهنيئا لأبناء الحي...

فاطنة البويه

ناشطة حقوقية و كاتبة;

سابقا معتقلة سياسية

”كل كرامة الإنسان في الفكر،
كل كرامة الفكر في الذاكرة“
أندري كونت-سبونفيل

بقراءتنا لهذه الشهادات، مع ما يحتمل ذلك من مخاطر الانتقائية، لا يمكننا إلا أن نقر بشيم السمو و الفضيلة التي تطبع كنهها و تجعلها ترتفع بعيدا عن ترصد من كان وراء معاناتها.
بكرامة النفس يتغلب أصحابها على الجرح الذي استوطنهم و ينخرطون في تاريخية تتوخى طوي الصفحة ، لكن بعد قراءتها
الحي المحمدي عبارة عن أماكن، و كذلك رجال و نساء عاديون تم ترحيلهم في خضم مشروع عصرنة عنيفة لصناعة استعمارية ناشئة و سياسة تعميرية فوضوية و من تم امتزج الخيال بالوقائع حيث المخيل المشترك ينصهر أكثر من أن ينتج.
شهادات شباب الحي تسهم في إلقاء الضوء على أحداث الماضي من خلال نظرة جيل جديد لا يقطع كلية مع المخيل المشترك . الكل ينحو إلى المزيد من العدالة و التقدير.
و هذا ما ينكشف بشكل واسع من خلال شهادات النساء. نساء الحي المحمدي، أمهاتنا، كن قد حدسن ما تخبئه هذه العصرنة ، اشتغلن كعاملات، خادمات بيوت أو نساء المحنة، مصرات على أن يدفعن أزواجهن إلى التشبث بفرص عملهم و القطع المتدرج مع أوهام الحنين إلى موطن أصولهم، وزدن على ذلك بإصرارهن، إثر بروز المنشئات الدراسية، على استثمار فرص تمدرس أطفالهن.

حين يتحدث محمد الصديق عن المقاوم الشهيد إبراهيم الروداني فإنه يحيلنا، في الآن ذاته على المقاومة و على النضالات العمالية و النقابية. اسم الحي يحمل رمز هذه المقاومة، المرحوم محمد الخامس الذي نفته سلطات الاستعمار، و هو بدوره كان يلقب بملك "كريان سنترال".
حين يذكرمركز الاعتقال السري درب مولاي الشريف ضمن ذاكرة الكرامة هذه، يظهر معه الإحساس بالخيانة الذي يغطي على هذه الانتروبولوجيا الخاصة...هنا يستنفر تاريخ التضحيات ليطالب بجبر الضرر.
ضمن هذا الإطار يمكن إدراج مسار هيئة الإنصاف و المصالحة، و إحدى أهم توصيات برنامج جبر الضرر الجماعي، التي أكدت على حفظ ذاكرة الحي و استعادة كرامة ساكنيه.
غير أنه لن يتسنى لهذا البرنامج أن يكتمل دون أن تستفيد كل من سينما السعادة و دار الشباب من رد الاعتبار، لأنه بدونهما لم يكن لفرقة ناس الغيوان أو لفرقة الطاس الرياضية أن يطبعا هذه الذاكرة بشكل متميز.
هذا البرنامج يجب أن يشمل أيضا مستوصف السعادة، الذي كان يوفر كل حاجيات الوقاية و العلاجات الأولية لسكان الحي. تحويل البناية التي كانت تأوي كوميسارية درب مولاي الشريف إلى متحف للمغرب الحاضر الذي يثمن تاريخنا و يؤكد روح التصالح و التنمية البشرية التي تشكل إحدى الضمانات لعدم تكرار ما جرى.

محمد سؤال،
ابن حي الكدية (الحي المحمدي)
مهندس، عضو المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان

مغامرة الكتابة

لا ندعي ملكة الكتابة و لكن نغازل صعوبة التأليف و لا ندعي ، لا صفة المؤرخ و لا الصحافي.
و لكن تغزونا الكتابة بعيدا عن القراءة الرسمية لهذا التاريخ. حتى لا تضيع منا آثار تواريخنا الشخصية و الجماعية . ما دوناه في ثنايا هذا الكتاب هو ثمرة لقاءاتنا مع سكان الحي المحمدي, كل الفضل يرجع لكفاحات المناضلين الجمعويين للحي المحمدي في جعل الدولة تدمج هذا الحي في برنامج جبر الضرر الناتج عن ماض الانتهاكات التي مست سكان الحي المحمدي خلال سنوات الرصاص .
و بفضل دعم برنامج جبر الضرر الجماعي الذي نادت به هيئة الحقيقة و الإنصاف استطعنا، طيلة سنة كاملة أن ننجز برنامج التكوين و البحث الذي استهدف استرجاع شذرات ذاكرة الأحياء الشعبية بغاية ترسيخ مكتسبات المعارك الحقوقية التي خاضتها ساكنة هذه الأحياء من أجل ضمان احترام حقوقها و كرامتها.

على ما ينيف السنة، أجرينا مئة لقاء مع أفراد ساكنة الحي الذين عانوا و رفضوا انتهاكات حقوق الإنسان، والذين، بحضورهم أو غيابهم، تركوا بصماتهم في الحي.
خلال " لقاءات الذاكرة" التي نظمت على طول السنة، استطعنا أن نجلب لها حوالي 800 شخص من ساكنة الحي، والذين عبروا عن نظرتهم لهذا الماضي وعن رأيهم في قياس مستوى تقد م المغرب نحو إرساء قواعد احترام حقوق وواجبات كل مواطني هذا البلد.
رافقنا في تحقيق هذا الغايات مجموعة من الكفاءات من الحي من خارج الحي.

”حضرت كل ملتقيات مقاهي الذاكرة لأنها أتاحت لي استيعاب تاريخ الحي الذي أقطنه ,كما مكنتني أن أكون فخورا بالانتماء إلى هذه الفئات الفقيرة التي صنعت بلادها بتضحياتها“

”يحدثنا القدماء عن الفترة التي كان فيها سكان كريان سنترال، سوسيكا، كاستور، ودرب مولاي الشريف، يبنون منازلهم وبراريكهم جماعة، يحتفلون بنجاح ابن الحي، أنا أيضا أستطيع أن أحكي لأبنائي كيف، وأنا شاب، استقبلت خلال لقاءات الذاكرة علماء اجتماع ،كتابا، مؤرخين و أشخاصا تركوا بصماتهم في الحي المحمدي و في المغرب عموما و خارجه “

توطئة

أستاذ التاريخ نجيب التاقي

الأستاذ التاقي

بتاريخ 11 يناير 1944، قدم الوطنيون المغاربة وثيقة المطالبة بالإستقلال لكل من الملك محمد بن يوسف، فرانكلين روزفيلت، ويستون تشرشل و شارل دوغول إبان انعقاد مؤتمر أنفا. كان أبي، و هو آنذاك طالب بالقرويين، قد استقبل هذا الإعلان بفرح و فخر، كما هو الأمر بالنسبة لكافة المغاربة، الذين واجهوا، حين خروجهم للشوارع للتعبير عن فرحتهم، حملات القمع و الاعتقالات من طرف شرطة الاستعمار الفرنسي، قرر والدي على إثرها، أن يغادر فاس هربا من موجة الاعتقالات التي عمت آنذاك، و كانت وجهته منطقة الزيايدة ناحية مدينة بنسليمان، حيث اشتغل كفقيه وكمدرس لحفظ و كتابة القرآن للأطفال مقابل الإيواء و المأكل.

لكن سرعان ما سيرحل والدي مجددا إلى مدينة الدار البيضاء ليستقر بكريان سنترال، و يصبح من أول المدرسين الذين اشتغلوا ضمن شبكة المدارس الحرة التي أسستها الحركة الوطنية بالحي.

كانت مدرسة "الوحدة للحي الصناعي" إحدى هذه المدارس ، صغيرة الحجم، بها قلة قليلة من الأساتذة و كثير من التلاميذ يفترشون الحصير.

بعد مجيء الاستقلال تم ترحيل هذه المدرسة إلى حي"الشابو" حيث بناها أهل الحي باسترجاعهم للبراريك التي خلفها الأمريكيون عقب رحيلهم من القاعدة العسكرية للنواصر (مدينة صغيرة في الناحية العربية للدارالبيضاء) .

ستعرف سنة 1959 استقرارنا بدرب الحرية.(على منوال تلك الحقبة التي كانت فيها الأزقة و الأحياء تحمل أسماء لها نفس الدلالات الرمزية).

حصلت على شهاداتي المدرسية خلال مرحلة (1962-1974)، والتي تميزت بالعديد من الاضطرابات: إضرابات، حركات طلابية، انقلابات، حالات الاختفاء و الاعتقالات ...
كان إصراري قويا على متابعة دروسي كي أصبح مدرسا مثل أبي الذي جعلني ، بكل وسائل الضغط و الترهيب، أركب المشروع إلى أن أصبحت اليوم أشغل منصب أستاذا لمادة "ذاكرات الأماكن بكلية عين الشق بالدار البيضاء".
يختزن التاريخ المحلي للحي المحمدي عصارة حقبة مركزية من تاريخ المغرب المعاصر
ابتداء من سنة 1913، شرعت مجموعة من الشركات المختصة في البناء في الاستقرار بالمنطقة من أجل مواكبة التوسع الاستعماري الفرنسي، إلى يومنا هذا لا زلنا نسمع بالحديث عن حي زارابة و حي الشابو و هي تسميات مدرجة لأسماء الشركات الأولى التي استقرت في الحي وجلبت من خارج الدارالبيضاء، يدا عاملة طيعة و خاضعة للسخرة استقرت في خيام بالية و مساكن تقليدية بدوية مبنية بالطوب و أغصان الأشجار.

في سنة 1937، سيعرف حي كريان سنترال – "سنترا"، كما يلقبه سكان الحي- تضخما هائلا نتيجة الهجرة الكثيفة التي أعقبت الجفاف و المجاعة و الوباء الذي أصاب البلاد خلال هذه السنة.
"سنترا" ستعرف ، على الرغم من المعارضة الشديدة لمصالح الحماية، نشوء كريانات جديدة ستحمل أسماء ملاك أراضيها مثل كريان بوعزة ، كريان خليفة، كريان ولد لحسن، أو أسماء مكتري الأراضي و منشئو الكريانات، كما هو شان كريان الحيط، جنكير، الكمرة. هذا إضافة إلى كريانات استعارت أسمائها من الأماكن التي أنشئت بها كما هو حال كريان الكريمات و سوق الرحبة أو كريان الجير.
سيعرف تشكل المخيال الشعبي بموازاة توسع رقعة كريانات ما سيحمل بعديا، اسم الحي المحمدي، تواترا متناميا لا ينقطع. هكذا ستظهر كريانات جديدة ستحمل، هذه المرة، أسماء ترمز لمرارة العيش ومضامين الاحتجاج مثل كريان "لاحونا" ، كريان "لا فران لا ضو"أو كريان "حازونا بلا ما يعلمونا".
حملت الكريانات أيضا أسماء مصانع المنطقة : كريان زارابة (شركة زارابة) و "تروشطي" و "الشابو " (شركة لصنع الإسمنت)، كما حملت أسماء تابعين لبعض الزوايا كانوا مستقرين بهذه البراريك كما هو حال كريان بوهالا، بل وجد كريان حمل اسم وجهة الكعبة : "القبلة"، وكريان سمي بـ"عيد العرش" لكونه عرف حريقا توافق و مناسبة يوم أحد أعياد العرش.

سيحدث، إثر اكتشاف الوافدين الجدد للمجال الحضري لمواد الصفيح و الورق المقوى و الخشب، استرجاعا لهذه المواد و توظيفها في بناء مساكن تحيط بالمصانع المتواجدة بالحي، وهكذا ستظهر، على أنقاض كريانات الطوب، مدينة صفيحية تحمل اسم كريان سنترال، وهي تركيب للكلمة المشتقة من الكلمة الفرنسية كاريير (carrière بمعنى مقلع)، و الإسم الأول للشركة المركزية للبخار للدارالبيضاء.

هذه المدينة الصفيحية –اسم عرف نشأته في البيضاء، و يقصد به سكن غير لائق مبني بمواد مستعملة يتم استعادتها كالصفائح – ستغير مواقعها تبعا لتغير سياسات المصالح البلدية و كذا لحاجيات المصانع. في سنة 1936، وإثر صدور الأمر البلدي القاضي بمنع البنايات الصفيحية داخل المدينة، سينتقل كريان سنترال إلى الطريق الغير المعبدة الرابطة بين أحياء عين البرجة و عين السبع (حاليا شارع علي يعتة و "كريان الجديد".

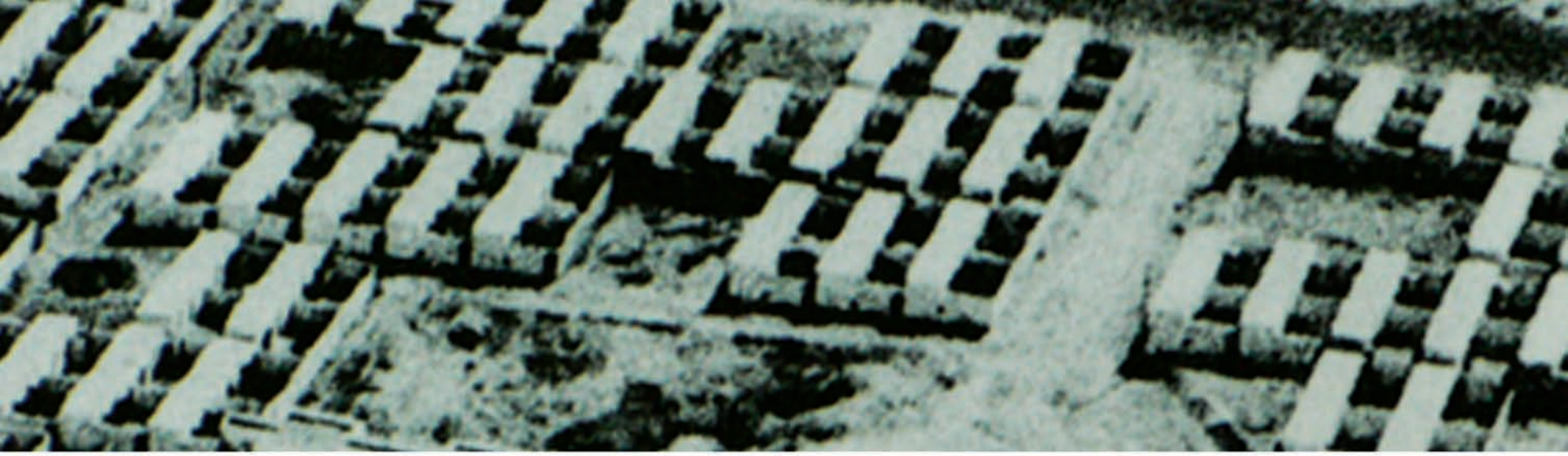

بموازاة مع توسع الكريانات، عمدت الدولة، البلدية و الشركات الصناعية على احتواء هذا التوسع و على ضمان استقرار ساكنة عمالية ضرورية في ظل التوسع العمراني لمدينة الدارالبيضاء، وفي هذا الاتجاه تم إحداث الشركة الشريفية للحاضرة العمالية الأهلية للدارالبيضاء. مع الإشارة إلى وجود شركات قامت، قبل إنشاء شركة سوسيكا، ببناء منشآت سكنية لعمالها المغاربة يذكر منها تلك التي حملت اسم قرية كوسوما و التي بلغ عدد مساكنها 325، ثم قرية كامو و شابو.
شركة سوسيكا برمجت بناء 1600 مسكن قبل أن تتوقف عند 400 مسكن نتيجة الخصاص الذي ولده اندلاع الحرب العالمية الثانية. تتميز هذه المساكن بنفس الخاصيات : مساكن إضافة لدكاكين، حمام، حائط مسور بأقواس مفتوحة على الخارج، شكل من المدينة العصرية سيتم تعميمه على باقي تراب المغرب.
هكذا سيصبح الحي المحمدي، خلال سنوات الخمسينيات، كما هي الدارالبيضاء، حقلا للتجريب المعماري بهدف إحداث سكن لائق لأكبر عدد من المستفيدين. المعماري إيكوشار هو من اعتمد مشروع العشر مساكن ذات القاعدة المربعة (8 أمتار على 8 أمتار) كمجموعة الرياض، الكدية، السعادة، السكك الحديدية، و هو أيضا من اعتمد البنايات العمودية كدار العالية، مسكن النحل، بناية الجمارك.
عرف الحي المحمدي، خلال سنوات الخمسينات انطلاق البنايات المسماة كاستور. دعيت العائلات إلى التعاون لكي تبني لنفسها من أجل خفض كلفة المسكن و من أجل تقوية العلاقات بين الجيران.
لقد كان الحي المحمدي بؤرة للمقاومة إلى درجة أن الاستعماريين و شركائهم كانوا يلقبون السلطان ب"ملك كريان سنترال"، ومباشرة بعد الاستقلال سنة 1956، لقب الكريان و نواحيه بالحي المحمدي نسبة إلى الملك محمد الخامس.

هذه السطور التي لا تخضع لقاعدة السرد المتتالي تقدم نماذج للتحدي و الكرامة عبر مسارات متواضعة لسكان الحي المحمدي.

مباركة

أتيت إلى الدارالبيضاء و عمري آنذاك عشرون سنة، وهو ما يصادف السنة التي سميت ب"عام البون" حيث كنا نتسلم بطاقات توزيع الحصص الغذائية خلال سنوات الجفاف، كان ذلك سنة 1940، كنت متزوجة و أتيت من دكالة لألتحق بزوجي. أقمت بعدة كريانات. أول يوم في البراكة المشتركة حصل زوجي على نصف خبزة. كانت كلفة إيجار البراكة تبلغ آنذاك عشرة دراهم.

كان زوجي، من فرط غيرته يقفل علي باب البراكة، وكان يصر على مرافقتي حتى باب الحمام. كنت أعيش سجينة إلى درجة أنني لم أكن أميز النهار من الليل، ومع ذلك لا أحتفظ إلا بذكريات جميلة عن فترة الشباب. زوجي كان يشتغل بمصنع الزيت و الصابون بطريق الرباط، كان يحصل على أجرة زهيدة، ساعدته على اقتناء براكتنا الأولى، بعت كؤوس الشاي النحاسية التي كانت في ملك والدي و التي كانت ذات قيمة، كما بعت جلابيتين من الصوف كنت قد صنعتهما بيدي.

أتذكر حدث نفي الملك، كنا حزينين, كان الفرنسيون يفرضون علينا حضر التجول، وكثيرا ما كان الجنود يطلقون الرصاص على السكان. رأيت بأم عيني رصاصات تخترق صفيح براريك لتزرع الرعب بين سكانها.

بعد وفاة زوجي، اضطررت إلى الخروج إلى العالم الواسع من أجل البحث عن العمل و إعالة أبنائي. قضيت أربع سنوات في مصنع لتعليب الليمون غير بعيد عن الميناء. إلتحقت بمصنع آخر من أجل تحسين دخلي، ولكي أحصل على مدخول إضافي كنت أغزل الصوف لبعض الزبناء، هذا كله مع السهر على رعاية أبنائي.

”في المصنع، كنت أعمل على فرز الليمون، ألمعه وألففه. كنت أعرف أن هذا الليمون كان يأخذ وجهة أوروبا، و عندما استلقي على فراش براكتي وأنام، أحلم أني ليمونة حتى أركب البواخر و الطائرات و أنعم بدفء اللفافة“

« A l'usine, je triais les oranges, les faisais briller, les enveloppais ... Ces oranges partaient en Europe et plusieurs fois dans les nuits du Cariane, je rêvais d'être une orange pour prendre bateaux et avions dans la chaleur du papier d'emballage.»

محمد

عمري الآن ثمانون سنة و لازلت احتفظ بالإحساس باليتم، أشعر أني يتيم إبراهيم الروداني و يتيم الملك محمد الخامس.

عشت فترة الشباب بمنطقة تادلة حيث كانت لوالدي علاقة بالمقاوم الحنصالي. في سنة 1945، غادرت قصبة تادلة متوجها إلى الدارالبيضاء على إثر عملية توزيع مناشير مناهضة للاستعمار، شابا، تركت عائلتي الصغيرة لأجد نفسي ضمن عائلة المقاومين البيضاويين، وكان إبراهيم الروداني بمثابة القائد. بمعرفتي البسيطة للغتين العربية و الفرنسية، استطعت بسهولة أن أجد عملا في شركة تابعة للجيش الفرنسي كما اشتغلت بالمصالح الإدارية الدولة بدرب السلطان.

في كل مرة كنت أفصل عن العمل بسبب نشاطاتي النقابية، كنت أجد الدعم المادي من طرف إبراهيم إبراهيم الروداني، و بتحريض منه قام النقابيون المنخرطون ضمن الكونفدرالية العامة للعمال و القوات العمالية و الكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين، في سرية تامة، بتأسيس الاتحاد المغربي للشغل الذي عقد مؤتمره التأسيسي في 20 مارس 1955 في منزل إكتراه إبراهيم الروداني.

هذا الأخير كان رجل أعمال ناجح وكان المؤسس لأولى خلايا المقاومة وله الفضل في تقوية الروابط بين المقاومة و الحركة العمالية المغربية.

قام سنوات قبل ذلك، بدعم النقابيين المتابعين في إطار حملة القمع التي تلت مظاهرات التنديد بخطف النقابي التونسي فرحات حشاد من طرف السلطات الاستعمارية، و هو أيضا من سهر على تنظيم إضراب 20 غشت 1954 الذي دام أسبوعا احتجاجا على نفي الملك محمد الخامس.

"خلال معركتنا من أجل الاستقلال كنا نعتبر أنفسنا مغاربيين، لذلك استقبلني الرفاق بحفاوة كبيرة و عاملوني كمواطن لهم خلال زيارتي لمدينة الجزائر. كان للروداني و قادة المقاومة أهداف و إستراتيجية واضحة، وكان ذلك مصدر قوة لنا"

لقد أخبرني الروداني مع باقي المناضلين النقابيين،و في اللحظة التي ارتآها مناسبة، كلفني، رفقة الطيب بوعزة، المحجوب بن الصديق و عبدالقادر أعواب و غيرهم بالتحضير، في سرية تامة، للمؤتمر التأسيسي للنقابة الجديدة التي حملت اسم الاتحاد المغربي للشغل. التحق بنا مناضلون من مدن آسفيي، خريبكة، الرباط، سلا، القنيطرة و غيرها...كان قد أعطي الأمر بالتواجد في منزل اكتراه الروداني بحي بوشنتوف.

منذ الانطلاقة، وضعت النقابة الجديدة نفسها في صف المقاومة و الدفاع عن حقوق العمال، انتخبت عضوا بالمكتب التنفيذي، وكنت شاهدا، آنذاك على تزوير نتائج الانتخاب التي آلت إلى تنصيب المحجوب بن الصديق كاتبا عاما عوضا عن الطيب بوعزة، ولكي أنسى أثر المرارة الذي تركه في هذا الحدث، عملت على استثمار كل طاقاتي في تمثيل النقابة على المستوى الدولي. منذ سنة 1955 انتزعنا اعتراف الكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة بالإتحاد المغربي للشغل، و من داخل هذه الكونفيدرالية ناضلت من أجل استقلال المغرب، تونس و الجزائر. و لم ينسى الجزائريون ذلك حين حصلوا على استقلالهم و دعوني إلى الجزائر كمستشار في الشؤون النقابية. خلال تلك الفترة كنا نعد أنفسنا كمغاربة و كمغاربيين أيضا. و للتذكير، فبمجرد نيل الاستقلال، تم، بدعم من الاتحاد المغربي للشغل، فتح مكاتب للاتحاد العام للعمال الجزائريين بكل من وجدة، مكناس، الرباط و الدارالبيضاء.

بقيت على اتصال بالحركة النضالية بالمغرب من أجل تثبيت حكم محمد الخامس، و من أجل الدفاع عن العمال ضحايا اولى حملات القمع التي شنها كل من أوفقير وولي العهد آنذاك. محمد الخامس كان ملكا منفتحا، محترما للمناضلين، التقيت به عدة مرات و أعطاني الإشارة كي أبعث له برقية متى كنت في حاجة إليه. هذه الإشارة استعملتها مرة واحدة لكي أطلب منه التدخل لإطلاق سراح عمال العرائش و آسفي، آخر مرة التقيت به في قصر الرباط، كانت لشهور قبل رحيله، أعطاني خلالها ملكية بقعة أرضية بالحي المحمدي بنيت عليها المنزل الذي أملكه.

هذا الحي هو حيي أنا، و محمد الخامس أسدى علي بعطفه مقابل الخدمات التي أسديتها للوطن، هذا في الوقت الذي عذبني أتباع إبنه في قبو درب مولاي الشريف على بعد أمتار من منزلي.
اليوم، أستبشر وأنا أحضر هذا التكريم الخاص للمقاومين و ضحايا سنوات الرصاص خلال اللقاء المنظم من طرف شباب الحي المحمدي. هذا هو المغرب بكرامته و سيره على درب المستقبل.

” لقد أحسست بالفخر , أنا محاط بأصدقائي قدماء المقاومين، محاطا بشباب "ذاكرة و كرامة" و بفاطنة البيه، التي، وهي شابة، استطاعت أن تكمل مشوار نضالنا من أجل مغرب حر.“

« J'ai eu un sentiment d'allégresse d'être entouré par des amis anciens résistants, par des militants sud africains et européens des Droits de l'Homme, par les jeunes de "mémoires et dignité" et par Fatna Lboueh qui, jeune, a pu continuer notre combat pour un Maroc libre. »

الكبيرة

أنا، بنت الحي المحمدي من والدين أتيا من أولاد زيان. ازددت سنة 1947 بكريان الحسين الذي انمحى أثره. كان قريبا من الثكنة العسكرية.فقدت ولدي وعمري سنتين وحضنني خالي، حيث بقيت تحت رعايته إلى أن بلغت سن السادسة عشرة. كان من الممكن أن يكون السجن أرحم من العيش رفقة زوجة خالي. كانت تضربني لأتفه الأسباب. منذ صغري كنت خادمة لكل العائلة. لقد كانت تصب علي كل حنقها حيث كانت بدون أطفال، ولما أتت بطفلها ضاعفت من بطشها بي . كانت تتهمني بعدم الاهتمام بالطفل و بالمنزل . كان جسمي مليئا بالحروق حيث كان أسلوبها في تربيتي عنيفا. استطعت أن أهرب من هذا الجحيم و أن أعود إلى كريان الحسين حيث التجأت إلى عمتي، أسبوعين على ذلك تم تزويجي و أنا في عمر السادسة عشر . هذا الزواج لم يضع حدا لتعاستي، فحماتي كانت تأخذني لأعمل كخادمة في البيوت و تقبض أجر شقائي. كانت دوما تشكو إلى أبنها أنني لا أكن لها الاحترام الواجب اتجاهها لتدفعه لضربي و كنت أختبئ عند خالتي.
نتيجة حياتي الشقية هذه، لم أتمكن من ولوج المدرسة و لم أكن أعرف من الحي المحمدي إلا القيسارية حيث اشتريت بها لباس العرس.

حين ازداد إبني تمكنت من الذهاب لرؤية النافورة و كانت لحظة خلاص لا تنسى. كنت أغسل الملابس و أتبادل الحديث مع نساء الكريان، كنا نساعد بعضنا و كان أبناء الحي يعتبروننا أقرباء لهم وينادونا بكل احترام بـ"حبيبتي" , أما في يومنا هذا فلم يعد هناك من تضامن بين الجيران، كما يقول المثل: قد تمنح الحليب فيرد لك بالقطران.

على الرغم من كل هذا القهر، استطعت أن أكفل أبنائي بفضل عملي كخادمة في البيوت. اليوم كبر أبنائي و تزوجوا و لهم أبناؤهم. أمي و أبي، وهم في العالم الأخر، سيكونون فخورين بي.

”بفضل أبنائي حصلت على ثلاجة و آلة تصبين و سعادتي أن أراهم بخير يشغلون مهنا محترمة بعيدا عن قهر العمل داخل بيوت الغير“

« Grâce à mes enfants j'ai eu un réfrigérateur, une machine à laver et du bonheur à voir mes enfants heureux et ayant des métiers honorables loin des corvées des ménages dans les maisons d'autrui. »

عائشة

كانت أمي في سن الطفولة حين تم تزويجها بأبي. لم تكن تريد هذا الزواج وكانت أمي تشبعها ضربا بالمنفاخ لترغمها على قبول هذا القرار. أبي كان معتنيا بمظهره، يلبس البدلة على الطريقة الأوروبية والسروال الواسع على الطريقة المغربية.كان، هو ينحدر من سيدي العايدي و أمي من جميعة.

رحل أبي إلى البيضاء و عمره 15 سنة و كان يعمل مياوما قبل أن يلتحق بمصنع كوزيمار للسكر، ومكنه هذا العمل من الحصول على سكن بسوسيكا سلمته له الشركة. بهذا المنزل ولدت سنة 1947

غادر والدي شركة كوزيمارللعمل بالسكك الحديدية، حيث تحسنت وضعيتنا المادية و اشترينا منزلا غير بعيد عن سقاية عمومية كانت تدعى "عوينة شامة" بمجموعة رياض (شامة كان اسم امرأة تعيش وحيدة في منزل مظلم و كان البعض يعتبرها منعدمة الفضيلة و تشتغل لحساب الاستعمار. كان الجيران يخبئون المقاومين من جماعة الزرقطوني و العبدي.رأيت بأم عيني جارة تصب الماء الفائر من السطح على الجنود الفرنسيين. كنت صغيرة، أخاف من دوريات الحراس الفرنسيين الذين كانوا يجوبون الأزقة في حيينا. حضرت أمي جنازة أحد الشهداء بمقبرة الشهداء بدرب السلطان، فتم اعتقالها من طرف أحد الجنود الفرنسيين بعد أن صاح في وجهها : "تحملين بين يديك رضيعا و تتظاهرين؟"، فأجابته أمي :" الرضيع في يد اللّه الذي خلقه".

في أحد الأيام حملتني أمي للعلاج بمستوصف تسهر عليه بعض الراهبات في حي الصخور السوداء، هناك صدمت بالقس يقول لها: "هذه البنت بنتنا". رعبت أمي واعتقدت أنها فقدتني إلى الأبد، و لم تستعد اطمئنانها إلا بعد أن تدخل أبي ليشرح لها أن القصد من أقوال "النصراني" هو أنه كان يرمز إلى عيني الخضراوات و بشرتي البيضاء في إحالة على السمات الفرنسية.

بالمدرسة كنت دوما في شجار مع الأولاد وكانت سلوكاتي تتسم بالعنف، هذا مع العلم أن مديرة المدرسة الفرنسية ،كانت جد صارمة. في ذلك الوقت كانت إدارة المدرسة توفر الكتب، وكان هناك مطعم للتلاميذ و غرفة للتمريض. بالصيف، كان أبي يسجلني ضمن أنشطة دارا لشباب ومن ضمنها الاصطياف. لا زلت أتذكر إلى اليوم، جناح، أستاذ الرسم بدار الشباب، كما أتذكر أيام العيد، و خصوصا عاشوراء حيث كان أبي يأتينا بألعاب تهديها له الشركة. أمي تهيئ الكسكس بسبع أنواع من الخضر و تسلمنا الحلوى و الفاكهة الجافة. نجتمع أمام منازلنا لنغني على إيقاع الدربكة بعد أن نوقد النار في أعواد جافة و عجلات السيارة التي لم تعد صالحة.إلى حدود العاشرة صباحا نرمي المارين بالماء ونغسل الدمى قبل أن نكسيها بثياب نخيطها لكي ندفنها في أرض خلاء, في الحقيقة كنا ندفن طفولتنا لأن أطفال الحي المحمدي كانوا راشدين قبل أوانهم.

ريمناوي

في يوم كنا فيه نقوم بدفن أحد الشهداء ففوجئنا بجنود فرنسيين،(كانوا جنودا ذوي بشرة سوداء وكنا نسميهم "ساليغان") يطلقون علينا النار، كانوا يحملون بنادق ذات حد كالسيف يمتد لخمسين سنتمترا. في المقابل، كان سلاحنا الوحيد هو الحجر و الصبر.
كانت الأغلبية الساحقة من سكان الحي المحمدي تشكل جيش المقاومة. مباشرة بعد وفاة والدي و هو لازال شابا، ذهبت للمدرسة التي سرعان ما انقطعت عنها لسبب تافه، حيث كنت نسيت قلمي و لم أرد أن أطلب من أمي أن تشتري لي قلما آخرا. عوض الذهاب للمدرسة، كنت أقضي يومي في اصطياد العصافير قرب حي بوشنتوف. أمي، رحمة اللّه عليها، كانت تشتغل خادمة عند الأجانب.
سنة 1942، ذهبت للعيش عند خالي الذي كان يسكن بالحي المحمدي، غير بعيد عن فران الجير.
أول عمل اشتغلت به كان عند خياط قررت بعدها أن أذهب إلى مراكش للاشتغال عند أحد أقربائي الذي كان يصنع النعال، وفي مرحلة تالية اشتغلت صباغا و مياوما في البناء إلى أن عدت إلى الحي المحمدي سنة 1948 حيث أقمت بالمجموعة السكنية للسككيين بالقرب من سينما السعادة.

خلال فترة بناء سينما السعادة و المقهى المرافق لها، كنت أشتغل، وبدون أجر، على تنظيف القاعة عند انتهاء العرض، كما كنت أبيع الكاكاو و الحمص وبذور دوار الشمس أمام باب القاعة. تحملت الصعاب و المذلة إلى حدود سنة 1970 ،حيث أصبحت مسيرا للمقهى، منذ ذلك الوقت لم أغادر هذا المكان.

رشيدة

كـبرت في أحضانالغناء الصحراوي و المرح...خالتي أم المرحوم "بوجميع"، عضو فرقة ناس الغيوان، كانت تسكن في الطابق السفلي لمنزلنا بعد رحيل العائلة من كريان خليفة.. خالتي هذه كان لها صوت جميل و كان زوجها و إبنها يصطحبانها في الغناء... كان يحرص بوجميع على أن نحضر كل سهراته و كان يجبر منظميها على استضافتنا كشخصيات مهمة. أذكر مرة رفضوا أن يسمحوا لمجموعة من شباب الحي بحضور إحدى حفلاته بالرباط، وفرض على مدير المسرح أن يعتذر عن الرفض و يأمر بإعطاء الصفوف الأولى لمجموعة الشباب ليقبل بأداء دوره في السهرة.

سنة 1971، تزوجت بشخص من درب مولاي الشريف، و رغم الشهرة الكبيرة لبوجميع، فقد حرص على أن يغني بعرسي لمدة سبعة ليال متتالية. حضوره إلى جانب باطما، الرجل المحتشم و الذي كان يرتدي جلابة قديمة، جعل المئات من ساكني الحي، وحتى من خارج الحي، تحضر العرس. كان الناس يعشقون أغاني ناس الغيوان و ابن الحي الخارق : بوجميع.

”لقد ظل بوجميع ابن الفقراء، فقيرا إلى آخر رمق من حياته،كان يصر على أن تحضر كل حفلاته، وكان يفرض على منظمي الحفلات أن يتعاملوا معنا كشخصيات مهمة.“

أيام العرس السبعة استنزفت كل ما وفرناه من مال. في عاداتنا الصحراوية تحمل العروس إلى دارها من طرف أحد أفراد عائلتها، وكان لي شرف أن أحمل من طرف بوجميع.

في تلك الفترة كنت عاملة في المصنع و كنت أحس بالفخر حين كان بوجميع يأتي بسيارة يقودها صديقه مفتاح، ليأخذني من باب المصنع. كان دوما يسلمني محفظته و يأمرني بأخذ ما شئت. كان كريما و معتزا بأصوله.

كلمات من مقهى الذاكرة

”نحن، عائلة هكور، سعداء بالاحتفاء معكم بالذكرى الخامسة و الثلاثين لوفاة المرحوم، أخي بوجميع. فحتى أعضاء فرقته نسوه، لكن اليوم، شباب الحي هم من يحتفي به. و هذا يجعلنا نسترد ثقتنا في شبابنا و في الناس الذين ظلوا أوفياء لهذا الحي. نريد أيضا أن نخبركم بأن الملك شرف هذه الذكرى برسالة اعتراف بما أسداه بوجميع هكور للإشعاع الثقافي ببلادنا. الملك محمد السادس أبى إلا أن يخصنا بمنحة شهرية تكريما لتضحيات عائلتنا . و كل هذا تشريف لبوجميع، لعائلته و أيضا لحيه و لسكانه“

هكور إبراهيم
أخ المرحوم بوجميع

” في عجلة، دفنا بوجميع، حين مات بعيدا عن أهله. في الشهور التي سبقت موته، كان بوجميع يتجول دائما و هو حاملا محفظته على ظهره. في حانوتي، حيث كان يحضر عندي، كنا نتهكم على كثرة جديته وعلى أفكاره الطوباوية في إمكان وجود عالم عادل.
في أحد الأيام، و في إطار المزاح، أفرغنا محفظته فوجدنا فيها كتبا وفرشاة أسنان, كان متيقنا أن البوليس سيأتي للبحث عنه. وكان هذا الاحتياط يضحكني ، و بعد أن شربت دخان السبسي الذي كان بيدي، توجهت له بالقول" هل تعتقد أن البوليس سيتركون لك أسنانا تحتاج معها إلى فرشاة؟" انفجر ضاحكا و راح كما هو دائما، خفيف الظل و مبتسم“

أحمد

لم أعد احتفظ بتواريخ الذكريات و لا بأماكنها و روائحها. لكن في جر هذه الذكريات ترسخت إحداها لتفرض نفسها على بإلحاح شديد و تحمل الخامس عشر من شتنبر 1973. في ذلك اليوم غادرت الدوار في اتجاه الدارالبيضاء حاملا حقيبتي وبداخلها كل ثروتي بالدوار الذي غادرته: حبات لوز وجوز. اقمت عند أحد المعارف لقضاء ليلتي الأولى في هذه المدينة، وعلى الساعة الوحدة و النصف صباحا، فتح الباب على دقات رجال الشرطة، سألونا عن شخص مبحوث عنه، أجبتهم أنني لا أعرف، في هذه المدينة، شخصا آخر غير مضيفي. وضعوا الأصفاد في أيدينا و عصابة على أعيننا وقادونا إلى كوميسارية درب مولاي الشريف حيث وضعونا مع معتقلين آخرين. كنت في الظلام الدامس، تعرضت خلال أربعة أيام لتعذيب متواصل إلى حدود فقدان الوعي. لا زلت أحتفظ بآثار التعذيب على جسدي ليومنا هذا.

كنت أميز الليل عن النهار عبر أصوات الأطفال و هم يلعبون خارج أسوار المبنى.

كان الألم لا ينقطع، كنت إما واقفا أو ممتدا. كانت محاولاتي إقناع جلادي أنني لا أعرف شخصا بهذه المدينة ، تزيد من إصرار الحجاج (كنا نرغم على المناداة على جلادينا باسم "الحاج") على التنكيل بي.

”احتفظ لنفسي، في عمق سواد درب مولاي الشريف،ببياض أوراق شجر الموز بقريتي.“

من أجل أن يبقوا علينا، كانوا يعطوننا، كوبا متسخا به شاي و خبز نثن. أربعة شهور من التعذيب والعصابة و الأصفاد. كل سجين مصفد مع الأخر، ونختفظ بالأصفاد حتى عندما نذهب لقضاء الحاجة. حتى البقر في إسطبلات المجازر البلدية تعامل معاملة مختلفة عنا ونحن في هذا القبو المغلق... من أجل إسكات صرخات الألم، كانوا يضعون في حناجرنا خرقة عفنة مبللة بالبول و الغائط. أتذكر أنهم، ولكي يهدموا ما تبقى من صمودي، اجبروني على الوقوف بالمرحاض، وكان السجناء يضطرون إلى قضاء حاجتهم أمامي.

أتذكر بألم كيف ناديت على "الحاج" من أجل أن يزيح جسد السجين الميت الذي كانت يديه مشدودة إلى يدي بالأصفاد، إلى الآن لازلت أحس ببرودة اليد الجامدة. أشبعني "الحاج" سبا و ضربا بحذائه العسكري. خرجت من هذا الجحيم محطما و كل جسدي مريض.

في يوم ما صادفت بالملاح (أحد أحياء المدينة القديمة بالدارالبيضاء) أحد جلادي، كنت أبصرت وجهه في إحدى المرات حين كان يغير عصابتي التي تمزقت. بمجرد أن لمحني ولى هاربا. اللّه أكبر، الجلاد يتذكرني و يولي هاربا ، مع أنني في حالة صحية منهارة، و إلى اليوم لازلت أعاني من قلة النوم وارتعب من مجرد سماع صداع أو رؤية الزي الرسمي.

حين خروجي من درب مولاي الشريف، لم يعيدوا إلي ساعتي و نقودي. وما يحز في نفسي أكثر، أن أحدا لم يأت ليعتذر لي عما عانيته، على الرغم من أن اسمي مدون في سجلاتهم، كان عليهم أن يواسوني من أجل مساعدتي على الاستمرار في حياة طبيعية.

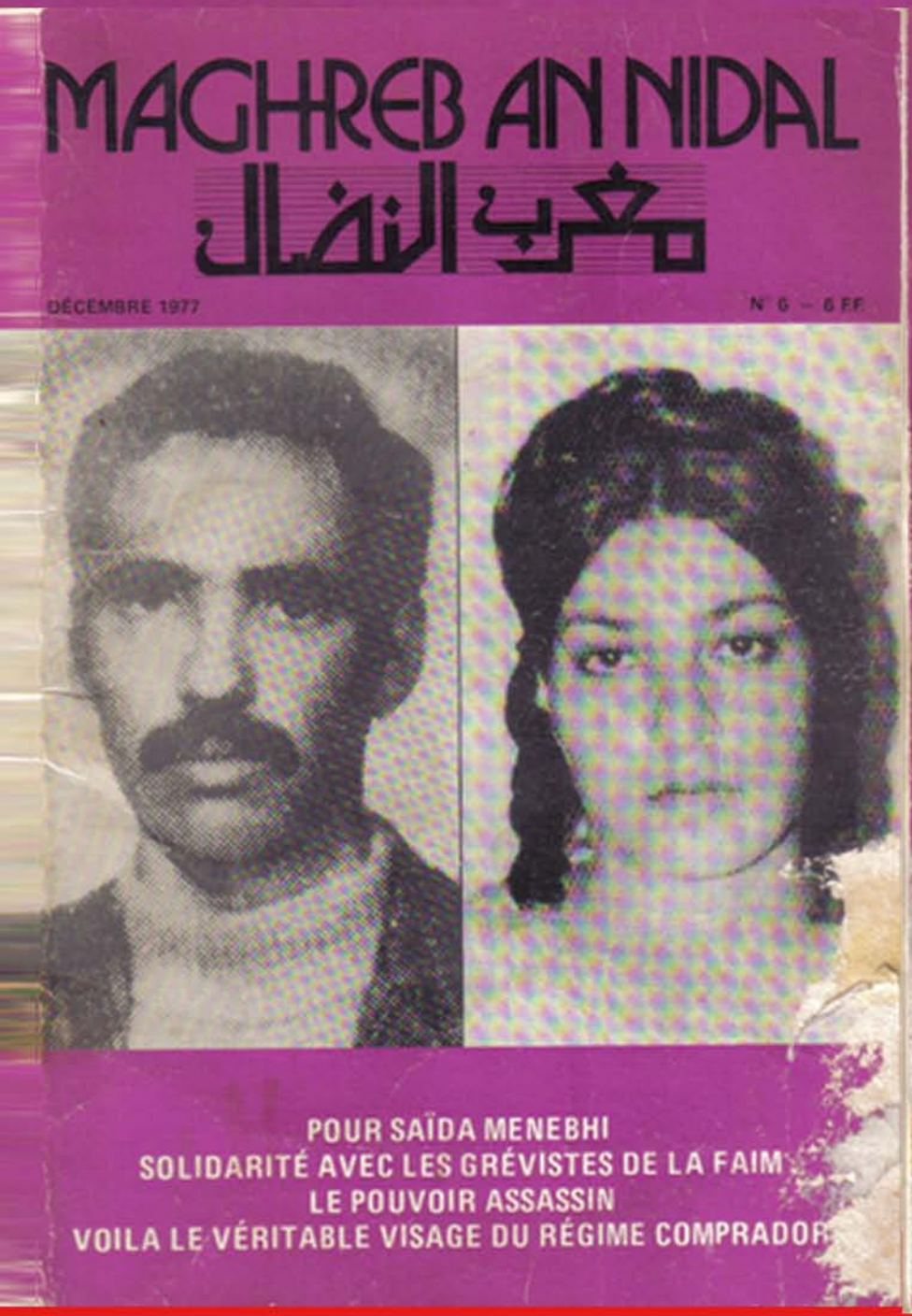

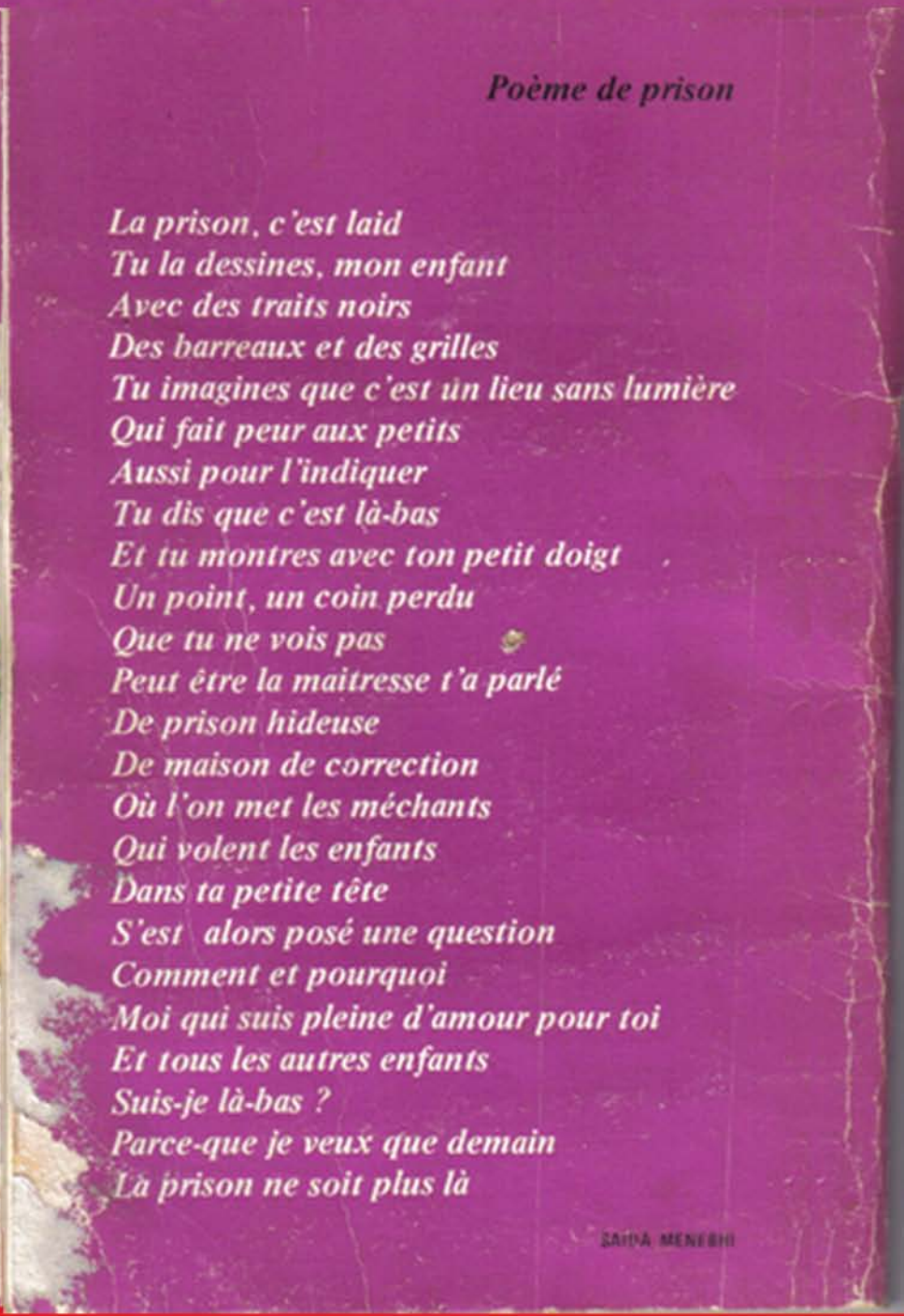

أحمد قادته الصدفة إلى درب مولاي الشريف، شبان آخرون مناضلون ماركسيون ماتوا تحت التعذيب أو نتيجة خوض إضرابات عن الطعام. في صورة غلاف مجلة مغرب النضال لشهر دجنبر من سنة 1977، قصيدة شعرية لسعيدة المنبهي التي استشهدت على إثر أحد الإضرابات عن الطعام.

أحمد، بوشعيب و سليمان

نحن ثلاثة إخوة، من أشهر ماسحي الأحذية بالحي المحمدي. لمعنا أحذية كل ساكنة الحي المحمدي: من الفقير الذي يرغب في الذهاب إلى العرس، إلى الذائع الصيت، ابن الحي. الفتيات لا يجرؤن على طلب خدماتنا خوفا من القيل والقال . الزبون الأكثر سخاء كان المرحوم بوجميع من مجموعة ناس الغيوان ذو الوجه المشرق و المبتسم باستمرار لكل من يصادفه .

ونحن شباب، كنا نرى بأم أعيننا رجالا يموتون من أجل مغرب حر, نتذكر الابتسامة الجامدة لشاب من الحي و هو يسقط بالرصاص خلال مظاهرات سنة 1952. والدنا، الطيب أتى من المذاكرة ليستقر بالكريان سنترال سنة 1942. بحرفته كماسح للأحذية استطاع أن يضمن تدريسنا، في تلك الآونة كنا ندرس بمدرسة داغوبير, واليوم تدعى مدرسة ابن بسام.

.

”في فترة محمد الخامس، كان كل حي يزين الأزقة بأوراق النخيل للاحتفال، بعدها، وفي حقبة الحسن الثاني، كانت حفلات عيد العرش تتم بشكل رسمي“

في سنة 1964، و لظروف مادية، غادرنا المدرسة لممارسة حرفة أبينا. في سنوات الاستقلال هذه عشنا الأحداث الأليمة لسنوات 1965، 1980، 1981، وشاهدنا مئات أطفال أبرياء. سنوات الثمانينات كانت سنوات الأزمات و سقوط الضحايا. الدبابات و الجنود في الشوارع، هؤلاء لا يترددون في مداهمة البيوت و ضرب السكان و اختطاف الشبان و الأطفال ليرمون بهم في مراكز الاعتقال. أغلب المعتقلين لم يعودوا لذويهم.

رغم هذه الجروح، فقد كانت الحياة تصطبغ بلحظات جميلة، نحتفظ بذكريات جميلة من أفلام كانت تعرضهما سينما السعادة و سينما شريف. كنا نحب رؤية الأفلام الهندية و المصرية. كانت الحفلات تنظم بالأحياء ، وكانت الحفلات الأولى لعيد العرش تنشطها مجموعات غنائية و كانت الأعلام و صور الملك تعلق بأبواب المنازل.

مع مرور الوقت، وضعنا ثلاثة كراسي في الجانب السفلي من شارع علي يعتة، ومنذ سنتين جاءنا المقدم، يخبرنا بضرورة ترك المكان بدعوى أن÷، وبمبادرة من الملك في اتجاه الفقراء، تم تخصيص المكان لإحداث ملاعب رياضية، وأن تواجدنا يزعج. إنه لمن الغير المحتمل أن يأتي شخص و يقول لك أنك لا تساوي شيئا. لحسن الحظ أن عبدالجليل و مجموعة من أبناء الحي ساندوا حقنا في التواجد بهذا المكان الذي هو جزء من بلدنا الكبير. هذا البلد الذي نحبه كثيرا إلى درجة أن أبناء الحي، رحمهم اللّه، ضحوا بحياتهم من أجل الدفاع عنه، وأخونا بوشعيب رفض مرارا أن يهاجر إلى إيطاليا خوفا من أن لا يرى الحي و ساكنته من جديد.

فاطمة

رحلت إلى فرنسا مباشرة بعد زواجي. أبي هو من اختار زوجي الذي كان كبير السن، في حين كان عمري لا يتعدى 16 سنة. زواجي الحقيقي هو حين حصلت على الشهادة الابتدائية و استقبلني أهل حي سوسيكا بماء زهر الليمون و الزغاريد و فرقة للأغاني الشعبية وحضر الجيران لتهنئتي بالنجاح.
إلى يومنا هذا أتذكر الرقم الذي اجتزت به الامتحان، وهو 4999. كنت أدرس بمدرسة عمر الخطاب للبنات.وكان ذلك سنة 1958، مباشرة بعد استقلال المغرب. كنا ندرس العربية في الحصة الصباحية و الفرنسية بعد الظهر. نبدأ اليوم الدراسي بتحية العلم، خلال فترة الاستراحة كانوا يعطونا كأسا من الحليب. (اللواتي كنا يعشن وضعية مادية قاسية كانوا يستفيدون من وجبات الغذاء). كنت أدرس مع تلاميذ يكبرونني سنا، حيث كانوا يسمحون للأطفال للالتحاق بالدراسة حتى في سن متقدمة، وكان الأساتذة متحمسين و يشجعوننا على التحصيل.

”بانتقالي من الدارالبيضاء إلى مدينة ليل لم أشعر بأي اغتراب، من ابنة حي سوسيكا وجدت نفسي ابنة لحي مدينة ليل“

في أحيان كثيرة، كانت وجبتي تقتصر على الماء و الخبز المحلى بالسكر. بالمدرسة تابعت دروسا في السكرتارية باللغة الفرنسية مقابل 30 درهما شهريا أدفعها لمركز التكوين. في المساء أتعلم الخياطة والطرز. زوجي أخذني معه إلى مدينة ليل و سرعان ما تعرفت على مغاربة هناك، كنت أساعدهم على تحرير مراسلاتهم و شكاياتهم. كان الفرنسيون المتوسطون يفاجئون بتمكني من اللغة الفرنسية مع أنني قادمة لتوي من المغرب.

الآن لدي ثمانية أطفال ولدوا كلهم بفرنسا. أقضي كل عطلي السنوية بالحي المحمدي منبع طفولتي.

”المنجم الذي اشتغلت به أصبح اليوم متحفا فنيا، يزوره السياح كما يزورون حي الأحباس“

بعين البرجة، غير بعيد عن كريان سي أحمد، كان هناك مركز لتشغيل المغاربة في الديار الفرنسية. كنت أرى كل هؤلاء الأميين، ذوي الأجساد الضخمة، الآتين من وسط الجبال من أجل إجراء الفحص الطبي و الذهاب إلى فرنسا. عثرت على السمسار الذي وفر لي عقدا للعمل في مقابل دراجتي النارية. مناجم الفحم الفرنسية كانت في حاجة إلى سواعدنا فرمتنا في عمق المناجم. و سرعان ما تبخرت أحلامنا و انسحبت ابتسامتنا تحت ضغط آلات الحفر. تحملت كل ذلك لما يقرب السنة، وبعدها رحلت إلى مدينة ليل بشمال فرنسا لأشتغل كسائق موزع للبضائع. و بسرعة أخذت معي زوجة شابة إلى فرنسا. أربعون سنة بعدها، أدخل بلدي بجواز فرنسي و أنا سعيد بالنجاح في تمكين أبنائي من الحصول على شواهد عليا من المدارس الفرنسية. زوجتي فضلت البقاء بفرنسا مع أبنائها و هذا من حقها.

أمينة

هجرة

عائلتي إلى المدينة الكبرى تمت على دفعات. أعمامي و أبناء أعمامي اجتمعوا على قرار الهجرة. الحافلة التي أقلتهم، رمتهم بالمدينة، التي بدورها رمتهم إلى كريان سنترال حيث استطاع الرجال ذوو البنية القوية أن يجدوا عملا بسهولة. أبي استطاع الحصول على مسكن بسوسيكا. في ذلك الحين كنا نعتقد أن سوسيكا كان اسم شخصية كبيرة تملك المصانع و المساكن، إلى أن اكتشفنا أن سوسيكا هو اسم شركة تتولى تدبير السكن الاجتماعي في مناطق الكريانات.
إلى اليوم، لازلت أقطن بهذا الحي و أنا فخورة بذلك ، حيث اعتبر أنها توفر شروطا أحسن من تلك التي كانت بالمدينة.. كنا نعيش بداخل هذا الحي و كان إخوتي الكبار يوفرون لنا الحماية الضرورية بعيدا عن صخب المدينة. حي سوسيكا يتوفر على حمام، فران ، مسجد و دكاكين...كل هذا كان يعيننا على أن نحس بكوننا عائلة كبيرة للحي تشهد باتساع رقعة الحي و كانت الدارالبيضاء تبدو لنا بعيدة بمسافة شاسعة.

”الحافلة التي أقلت عائلاتنا من الدوار رمتهم بالمدينة، التي بدورها، رمتهم إلى كريان سنترال.“

«Le car a jetés nos familles en ville et cette dernière les a jetés à Cariane central.»

تعودت النساء أن يجالسن بعضهن على عتبات منازلهن. بصورة تلقائية يتجاذبن الحديث عن تربية الأولاد، عن الخياطة و صنع الزرابي..في المناسبات الاحتفالية يتم استغلال ساحة الحي كقاعة للأكل. عند اكتمال سلسلة حفظ القرآن من طرف أحد أبناء الحي يتم تنظيم حفل استقبال ضخم بالكسكس لكل سكان الحي و كل المعوزين المتواجدين بالمكان. كنت ألعب ضمن فرقة النساء لكرة القدم التي كانت آنذاك بحي سوسيكا, وكانت أقواس أزقة سوسيكا تشكل عارضتي المرمى, قبل الذهاب إلى المدرسة كنت أعتني بتصفيف شعري و غسل يدي لأن المعلم كان لا يتردد في عقابنا إن لم نحترم قواعد النظافة .

بعد نيل شهادة الدروس الابتدائية التي احتفلت بها واعتبرتها كعرس . كان والدي يأملان في التخلص من وضعية الفقر التي كنا عليها و أن يرتاحا من الكد الذي كان يلازمهما، لذلك أصرا على أن ينال أبنائهما أحسن الشواهد .

في أيام العطل الدراسية، كانت عائلات سوسيكا تنظم خرجات جماعية إلى جانب السكة الحديدية من أجل أن نشاهد عن قرب مرور القطار، أن نجمع الحلزون ونشرع في إعداد العسولة ، وهي معسول معد بالسكر المحروق في علب قصدير فوق نار حطب نجمعه من محيط المكان.
عشت طفولتي في أجواء سوسيكا و منها تعلمت مساعدة الغير. وخلال الانتخابات البلدية الأخيرة صوت علي سكان الحي لتمثيلهم و الدفاع عن مصالحهم. ماعدا هذه التمثيلية، فأنا أظل مناضلة جمعوية مصرة على تشجيع النساء على التحرر عن طريق محو الأمية و اكتساب مهنة و الشغل.

سعيد

في سن العشرين، و بضعة أيام تلت أحداث 20 يونيو 1981، عشت أو ل تجربتي مع القضاء و الكوميساريات.
في مغرب هذه الحقبة، كان من الممكن أن يحكم عليك بعشرين سنة سجنا و عشرة سجنا منعا من ولوج تراب مدينة الدار البيضاء، بمجرد أن يشهد فيك زورا، و لا يغفر لك أن يكون سجلك العدلي فارغا من أية شبهة.
لم تكن الإنسانية من شيم، لا الشرطة و لا رقبائها، و لا قضاة البحث و لا قضاة الحكم و لا رجال النيابة العامة. كانوا، كلهم، يعاملوننا كقطاع الطرق، مع أننا كنا شبابا يافعا، نحلم بالشغل، بالزواج و تكوين أسرة، خطأنا الوحيد أننا خرجنا للتظاهر و قراءة مناشير وزعت بأحيائنا.
بالنسبة لي، ما حدث في 20 يونيو، ترجع بداياته إلى اليوم الذي سبقه، أي 19 يونيو ، كنت أمام أحد الدكاكين، فاندفع نحوي شخص في سن متقدمة و هو يصيح: " كيف لي أن أرعى أبنائي بأجر لا يتعدى سبع مائة درهم، و ثمن كيس الدقيق ارتفع من 35 درهم إلى 100 درهم، اللهم إن هذا منكر".
لم يكن لي تكوين مدرسي، و لا إلمام بالسياسة، لم أكن أكسب إلا تربية والدي و ثقافة الحي و أغاني بوب مارلي و ناس الغيوان لكي أحمل مصيري كشاب بدون عمل.

"عندما أوقفنا الإضراب عن الأكل، تحسنت، نوعا ما، ظروف اعتقالنا"

في يوم العشرين جوان، كنت، مع رفاق الدرب، نطوف في الحي لنحث بعض أصحاب الدكاكين على احترام الالتزام بالإضراب العام، كانت نداءاتنا بعيدا عن كل عنف. فجأة، ظهرت عناصر القوات المساعدة، الشرطة، رجال الدرك و الجنود، التي أتت عبر المداخل الكبرى لتتوجه، بأسلحتها و دباباتها نحو الأزقة. كانت المرة الأولى التي أسمع فيها، مباشرة، صوت الرصاص، و أرى فيها دم الجرحى و الخوف الرهيب من المخزن الحقود و المتعطش للانتقام من المستضعفين..

حين أتلي علي الحكم، شعرت بارتياح. أخيرا تيقنت بأنني ضمنت الحياة بعد مسلسل التعذيب الرهيب. في سجن القنيطرة، كنا 13 شابا وسط بحر من محكومي الحق العام. حتى هم كانوا ينظرون لنا ببعض من الشفقة و يساعدوننا على التكيف مع نظام السجن.

"أثناء وجودي بالسجن، تبناني أحد الماركسيين اللنينين، شخص حكيم وكريم، لم يعمل أبدا على استقطابي أو دعوتي إلى اعتناق أفكاره. إلى اليوم, لا زلت أحتفظ بصورته معي"

و منذ ذلك الوقت ونحن نحتفظ بغصة من عانى من جور و ظلم العدالة. أحد رفاقي كان كلما يستفيق، يدعو اللّه ألا يبعثه مع المغاربة. كان يعتقد، جازما أن البلد نسي أبناءه في قبو السجون و مراكز الاعتقال. بعد مرور ستة سنوات على تواجدنا بين معتقلي الحق العام، قررنا أن نطالب باعتبارنا كمعتقلين سياسيين. خضنا إضرابا عن الطعام لمدة أربعة عشر يوما لينتهي بنا الأمر إلى الزنازن العقابية، لكن بعد توقف الإضراب، وقع تحسن كبير في ظروف اعتقالنا، وكانت المفاجأة أن استدعيت إلى لقاء مع السرفاتي. كان أحد السجناء العاديين المشغلين هو من نظم موعد اللقاء. كنت، في قرارة نفسي، رافضا له، كنت أعرف أن هؤلاء ماركسيون لينينيون، و أنا، ومجموعتي، مجرد أبناء الحي، أميون وناقمون على الذل و انعدام فرص الشغل.

في أحد ممرات أحياء السجن المركزي، وجدت سي محمد السريفي، المدعو "الروخو"، ينتظرني، كان يكبرني سنا، مبتسما و مرتديا لقميص أبيض, حياني بحرارة على الرغم من الرائحة النتنة التي كانت تصدر عن بذلة المعتقل التي كنت أرتدي. سرعان ما جمعتنا صداقة متينة ،

آني مناضلة في منظمة العفو الدولية شاركتني وأنا في السجن حفل زواجها

تعلمت معه كيف أخوض إضرابا عن الطعام دون إهدار للصحة، عن كيفية استنفار العائلة و الصحافة، عن كيفية صياغة بيان صحفي... كان محمد، بالنسبة لي و لرفاقي في المجموعة، بمثابة الأب، أستاذ و حكيم. لم يحاول أبدا أن يستميلني إلى أفكاره أو أن يستقطبني إلى مجموعته السياسية. هذا المناضل ترك في أثارا قوية. في كل مرة ألقاه، كان يلقنني شيئا جديداً. بمعارفي الجديدة التي اكتسبتها بفضل صداقة الروخو، استطعت أن أنتزع احترام الإدارة و أصدقائي السجناء.استطعنا بمطالبنا أن ننتزع الاعتراف بنا كمعتقلين للرأي، و في سنة 1988، كنا ضمن لائحة جمعية آمنيستي الدولية. لا زلت مقتنعا بأن الطيبوبة لا علاقة لها بالاتفاق أو الاختلاف في الرأي.

أتذكر دوما "ماما غريغوار"، إنها أمي الثانية من جنسية فرنسية، أتذكر أيضا آني، شابة فرنسية التي كانت بمثابة أخت لي. هما عضوان بجمعية أمتيستي، حضيت منهما بالتبني و المراسلة الدائمة، وكذا بالدعم و الدعية لقضيتنا و مسائلة الحكومة المغربية عن مصيرنا.

قضيت، ظلما، ثلاثة عشر سنة و شهرا و يوما في السجن، لا أشعر اليوم بأي رغبة في الانتقام، فقط أرغب في أن يقع الاعتذار في حقي و أن تلتزم الدولة بعدم تكرار هذه الفظاعات . و ما ألمسه اليوم، لا يشجعني على التفاؤل. فجمعية ضحايا يونيو 1980، التي أترأسها، لم تتسلم بعد الترخيص على الرغم من أننا نضم المئات من عائلات الشهداء و المفقودين، الذين لا يطلبون إلا الكشف عن حقيقة مصير المئات من المفقودين الذين دفنوا في مقابر سرية.

أتنقل بدراجتي بين أحياء مدينة الدارالبضاء، أزور عائلات العائدين من الجحيم، وكذا عائلات المفقودين، أعرف كل منازل العائلات، كل الحالات و مسارات الانتهاكات، و في مناسبة العشرين يونيو من كل سنة، نعيد إحياء المأساة و نعيش من جديد إحساس المهانة و آلام الأبرياء الذين عانوا، ظلما من حرمانهم من حق النعم بالحياة الكريمة.

قناعة وحيدة تسكنني، و هي أن نفترض أن يعيش مسؤولونا، جزءا، يقدر بواحد بالمائة مما عشناه، لعلهم ينظرون للمغربي بنظرة احترام و حب : لأن هذا المغربي الذي أجسده، لم ينادي يوما بالانتقام رغم المعانات.

في النهـاية كلمات الحكمـاء من أهل الدرب